وما خلفت فيها أحـدا أورع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل رضى الله عنه . وقد توفى ضحوة يوم الجمعـة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحـدى وأربعين ومائتين هجرية ببغداد . ودفن بمقبرة دار حرب وعمره سبع وسبعون سنة . وقد حضر جنازته من الرجال والنساء ألوف كثيرة . (وأسلم يوم موته عـدد كثير من اليهود والنصارى والمجوس) . رضى الله عنه . ونفعنا الله بهم أجمعين إلى هنا نقتصر على ما أوردناه من مناقب الأئمة الأربعة المجتهدين . رضوان الله عليهم أجمعين وجعلنا من المتبعين لأقوالهم بجاه سيد المرسلين . فإن هؤلاء هم الذين أوصلوا إلينا أقوال أفضل النبيين فليس لأحد الآن غنى عن اتباع أقوالهم . فجزاهم الله تعالى عن الاسلام وأهله خير الجزاء . وحشرنا وإياهم تحت لواء نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . .

الباب الثالث

فِي وجُوبِ الحَجِّ وَأَدِلَّتِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

الكتاب — قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ . وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى

النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) سورة آلْ عِمْرَان وقال جل شأنه (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ اوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ . فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ . ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ . وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ . فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ . وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ اوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) سورة البقرة .

وقال تعالى وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ : فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) سورة البقرة وقال عز وجل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ . قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى . وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا . وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) سورة البقرة وقال تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا . وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) سورة البقرة وقال تعالى (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى . وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ . . وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ . رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) سورة البقرة وقال تعالى (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ . رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) سورة إبراهيم وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا . وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) سورة الحج وقال تعالى (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ . لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ

يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) سورة الحج. وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ. وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ. وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) سورة المائدة. وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) سورة المائدة: ويكفينا شرفا ما نزل فى يوم عرفة فى حجة الوداع من قوله تعالى فى سورة المائدة (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)

السُّنَّة: روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا. فقال رجل أكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم : الحديث :) وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (بنى الاسلام على خمس . شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة . وصوم رمضان . وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) وروى (من حج البيتَ ولم يَرفثْ ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وروى (العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) وروى (من جاء حاجًّا يريد وجه الله تعالى فقد غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر و يشفع فيمن دعا له) وروى (من قضى نُسُكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر) وروى (أنه ينزل على البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة . ستون للطائفين . وأربعون للمصلين . وعشرون للناظرين) وروى (أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له) وروى (أن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة : فاذا وقفوا بعرفات بَاهَى الله بهم ملائكته يقول انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غُبرًا أشهدكم أنى قد غفرت ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ورمل عَالَجْ) وروى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب أنى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإنى آخذ للمظلوم منه . قال أىْ رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم . فلم يجبه عشية عرفه . فلما أصبح

بالمزدلفة عاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم (شَكٌّ من الراوى) فقال له أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بأبى أنت وأمى . إن هذه الساعة ما كنت تضحك منها . فما الذى أضحكك : أضحك الله سنَّكَ : قال . إن عدو الله ابليس لما علم أن الله قد استجاب دعائى وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه . ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى ما رأيت من جزعه) وروى (إن الشيطان مارُئِىَ فى يوم هو أصغر وأحقر وأذل منه مثل يوم عرفه وما ذلك إلا لما يرى من تنزل الرحمات وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام) وروى (أن من حج حجة أدى فرضه . ومن حج ثانية داين ربه . فينادى غداً ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم . ومن حج ثالثة حرم الله شعره وجسده على النار) وروى (أن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة . وأنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق . وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيراً : وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه . وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه . ثم يقبل طرف المحجن . وروى أن عمر رضى الله عنه قبّله . وقال إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا رضى الله عنه وكرم وجهه فقال يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات وتستجاب

الدعوات . فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر و ينفع قال وكيف قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هـذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء و يشهد على الكافر بالجحود : قيل فذلك هو معنى قول الناس عقب الاستلام . (اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك) وروى (استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه) وفى الحديث القدسى (إن عبداً صححت له جسمه وأوسعت عليه معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلىَّ لمحروم) وفى هذا القدر الكفاية .

الباب الرابع

فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ عَلَى الْمذَاهَبِ الْأَرْبَعَة وَفِيهِ فُصُولٌ

الفصل الاول : فِي تَعْرِيفِهِ

الحج لغة القصد إلى معظم . وشرعاً أعمال مخصوصة . تؤدى فى زمان مخصوص . ومكان مخصوص . على وجه مخصوص :

الفصل الثانى : فِي حُكْمِهِ وَدَلِيلِهِ

الحج فرض فى العمر مرة على كل مسلم ومسلمة . وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والاجماع (أما الكتاب) فقوله تعالى (ولله